



رزان نعيم المغربي*
r_moghribi_2000@yahoo.fr

طرابلس / المغرب الموحد

تمثل معارض الكتاب العربية، فرصة لاكتشاف الجديد من الإصدارات الإبداعية والفكرية، ومناسبة لتقييم النشاطات الثقافية المصاحبة عادة لهذه المعارض. وأضيف أنها إضاءة لعين المتابع المهتم بملاحظة المستوى الذي بلغته الرواية التي تبدها المرأة في المغرب العربي، وكم هو حضورها جلي في تلك النشاطات التي تشرف عليها المؤسسات الثقافية، والتي من المفترض أنها لا تفرق بين أدب تنتجه المرأة وبين أدب ينتجه الرجل.

وقد لا نحتاج إلى جهد كبير، ونحن نرصد تلك الإصدارات كي نكتشف بأن الرواية النسائية المغربية، غير حاضرة بنفس الكثافة التي تشهدها مناطق أخرى من الوطن العربي حيث عرفت فيها كتابة المرأة تألقاً في المشرق منذ زمن بعيد، دون أن ننسى الخليج العربي الذي يشهد فورة غير مسبوقة، في هذا المجال.

وقد قرأنا خلال الأعوام الماضية حول العدد الكبير، الذي ظهر من إنتاج روائي لروائيات سعوديات على سبيل المثال إذ ساهمت دور النشر المشرقية في صناعة نجوميتهن، واهتم النقاد بكتاباتهن، وحتى المؤسسات الثقافية، مما خلق حضوراً فاعلاً لهذا الإنتاج الإبداعي، الذي بدا وكأنه طارئ على المشهد الثقافى العربي، فيما تنحسر صورة الرواية المغربية وتتقلص، مع ملاحظة التفاوت بين أقطار المغرب العربي بشكل عام.

والحديث يستمر حول المرأة المبدعة في المغرب العربي لأن الروائي المبدع استطاع أن يحقق حضوراً فاعلاً في المشهد العربي وبرزت أسماء روائيين من ليبيا وتونس والجزائر والمغرب، عكس حضور المرأة الروائية التي لم تتخط تلك العتبات بعد.

السؤال الذي يفرض نفسه: هل أن المرأة المبدعة في المغرب العربي أقل إبداعاً أو موهبة أم إن حضورها في المشهد العربي يتطلب دعماً أكبر...؟

بالتأكيد هناك إبداع و موهبة وهناك إنتاج يستحق التوقف عنده. ولكن مسألة التسويق لعبة يجيدها البعض، وبصراحة أكبر المشرق مثلاً، بدور نشره أولاً، التي تمرست في إظهار أسماء نسائية كبيرة في الأدب العربي منذ ستينات القرن الماضي.. وهذه الأسماء النسائية كان لها دور الريادة والسبق، بما قدمته للمنجز الروائي العربي، ولكن تغيرت مقاييس العمل وأهداف معظم دور النشر وها هي الآن تستثمر بقوة لإظهار أسماء خليجية، دون أن تنسى البعد النفسي في صدم القارئ بتقديم روايات تتحدث عن قمع المرأة وظلمها، كما تظهر صورتها الآن في هذا الأدب، وبالتوازي جراحة الكاتبة الخليجية وتمردتها للتعبير عن هذا الظلم مما يدعم تسويق الإبداع..

فهل تدفع الثمن المبدعة المغربية التي سبقتها قوانين تمكين المرأة وحررتها من ظلم المجتمع؟ هل تدفعه المبدعة المغربية لأنها تقود السيارة وتسافر دون محرم وتعمل وتختلط بالرجال...؟ وكان الإبداع توقف عند هذه المشاكل فقط..؟

هذا ما يدفع بعض الناشرين إلى اللعب على هذه المنظومة البسيطة والسهلة، ليقوم بتسويق الإنتاج ويتبعه النقاد والإعلاميين أيضاً مما يجعل غالبية الإنتاج الإبداعي، الذي يصلنا يحمل خصوصية المكان في أحسن الأحوال إذا لم يكن مشاريع فردية للوصول إلى الشهرة فقط..!

ونعود إلى دور المؤسسات الثقافية والرسمية التي تقيم فعاليات ونشاطات وندوات لنجدها متحيزة تماماً لتقديم الرواية التي أنتجت قبل ثلاثين عاماً، وفي أحسن الأحوال قبل عشرين عاماً ويقلم المبدع الرجل، وأن النقاد على المنصة هم رجال، حتى الكتب التي تناولت إبداع المرأة اتسمت بنقد جارح وكأنه تصفية حساب مع ما كتبه المرأة.

فهل نحتاج اليوم إلى رفع شعار القمع والظلم الذي يقع على المبدعة ونطالب بحضور أقوى للمرأة الناقدة ربما تنصف فيه المبدعة...؟

هل نعود إلى شعار النسوية بعد أن أصبح خلفنا...؟ أم نطالب المؤسسات بتمكين المرأة المبدعة من الإنتاج بتوفير فرص الحضور على المنصة وأيضاً توفير التفرغ للإبداع؟ أم نسأل الناشر من مؤسسات وأفراد لماذا لا يدخل لعبة التسويق والمنافسة...؟

أسئلة تفرض حضورها كلما حضرنا المعارض والندوات واكتشفنا غياب الروائية المغربية. والمبدعة المغربية عموماً شاعرة وقاصة.. إلا أن الكلام حول الرواية لأننا نعيش عصرها كما قال الناقد الدكتور جابر عصفور، ومع هذا بات زمن الرواية في المغرب العربي متأخراً على الظهور، على الرغم من وجود روايات جديرة بالاهتمام ولا تقل عن نظيراتها في المشرق والخليج، ينقصها فقط الاهتمام الحقيقي، والدراسة الموضوعية، والاهتمام الإعلامي، الذي أصبح يجيد صناعة نجوم روائية كما يجيد صناعة نجوم الغناء والتمثيل.

ولا أجد أن هذا عيباً، فصناعة نجم في الأدب يعني جذب القارئ للكتاب بعد أن ابتعد عنه، وراح يبحث على وجبات خفيفة تقدمها شبكة الاتصالات أو الفضائيات، القارئ هو نفسه المتابع لنجوم الفضائيات وبرامج المنوعات، وكرة القدم، التي يتنازع مشجعيها ويتبادلون فيها الاتهامات، ويمكن ببساطة شديدة تحويل انتباه هؤلاء إلى الكتاب، إلى نجوم الثقافة. ■

* كاتبة وباحثة ليبية